**بدايات علم النفس المعرفي:**

بدأ الاهتمام بالمعرفة الانسانية منذ عهد الاغريق من خلال مناقشتهم لطبيعة واصل المعرفة كأفلاطون وارسطو وكانت هذه المناقشات الجدلية فلسفية في المقام الاول من حيث طبيعتها ,وكان الموقفان المفسران لها يعبران عن التجريب والفطرية.

وخلال القرون السابع عشر والتاسع عشر اشتد الجدل بين الفلاسفة الانكليز حول النظرة الواقعية للملاحظة والتجريب وبين الطرف الاخر من الفلاسفة المؤيدين لوجهة النظر الفطرية,وكانت هذه المناقشات تقوم على اساس فلسفي,واستمر الجدل والمناقشات الفلسفية مدة طويلة تطورت خلالها علوما بشكل ملحوظ مثل الفلك والطبيعة والكيمياء والاحياء الا ان هذا التطور لم يصاحب اية ملاحظة لتطبيق المنهج العلمي لفهم المعرفة الانسانية ولم يجد هذا الفهم مكانا حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث كان يبدو قبل ذلك ان الطبيعة الانسانية غير قابلة للتحليل العلمي,وكان علم النفس المعرفي يتمركز حول الذات والاساطير والابحاث المشوشة نحو طبيعة النفس البشرية .وخلال اكثر من مئة عام الاخيرة تم الوقوف على ان المعرفة الانسانية يمكن ان تكون موضوعا للدراسة العلمية اكثر من كونها تأملات فلسفية.

فكرة ان العقل (الذهن) يمكن دراسته علمياً هي فكرة حديثة. في القرن التاسع عشر هيمنت فكرة استحالة دراسة العقل .احد الاسباب هو عدم امكانية العقل من دراسة ذاته. و هناك اسباب اخرى وهي ان خصائص العقل لايمكن قياسها،لكن هناك بعص الباحثون قرروا دراسة العقل بأي طريقة من ضمنهم فرانسسكس دوندرزFranciscus Donders في عام 1868 اي بأحدى عشرة سنة قبل تأسيس وليام فونت لاول مختبر في علم النفس والذي اجرى اول تجربة في ما يصطلح عليه الان بتجربة علم النفس المعرفي حيث لم يكن مصطلح علم النفس المعرفي مبتكرا حينها.اهتم دوندرز بمعرفة الوقت الذي يتخذه الفرد في اتخاذ القرار،وحدد ذلك بقياس زمن رد الفعلreaction time وهو الوقت الذي يتخذه في الاستجابة الى مثير يظهر امامه وكان عبارة عن الضغط على زر حال ظهور الضوء امامه واطلق على ذلك زمن رد الفعل البسيطsimple eraction time. في الجزء الثاني من التجربة كان يعرض احد ضوئين ايمن وايسر ويطلب من المفحوص ان يقرر اي ضوء يدركه بالضغط على الزر المقابل للضوء واطلق على ذلك زمن رد الفعل الاختياري choice reaction time. المثير هو (الضوء) حيث يسبب استجابة عقلية (ادراك الضوء) والتي تؤدي الى استجابة سلوكية (الضغط على الزر). استنتج دوندرز ان زمن رد الفعل الاختياري سوف يكون اطول من زمن رد الفعل البسيط لانه يتخذ وقتا أضافيا في اتخاذ القراروأن الفرق في زمن رد الفعل بين الظرفين البسيط والاختياري يشير الى الوقت الذي يتخذه اتخاذ القرار. هذه التجربة تعتبر مهمة لانها اول تجربة في مجال علم النفس المعرفي كما انها توضح اهمية دراسة العقل، لان الاستجابات العقلية (ادراك الضوء وتقرير اي زر يتم الضغط عليه) لايمكن قياسها بشكل مباشرولكن يجب استنتاجها من السلوك.

ففي المانيا اسس فونت عام 1879اول معمل لعلم النفس وكان هذا العلم هو علم النفس المعرفي مقارنة بالفروع الرئيسية الاخرى لعلم النفس,وقد استخدم فونت وتلاميذه وجانب كبير من علماء علم النفس طريقة الاستبطان وهي طريقة منهجية ,وكان الفاحصون من ذوي التدريب العالي المستوى يقدمون التقارير عن مضمون الشعور لديهم (محتويات وعيهم) من خلال ظروف او شروط تجريبية مضبوطة بعناية و دقة , وقد أسس فونت مبدأ مراقبة الذات self-observation، حيث يتأمل الفرد ما يدور بداخله من عمليات عقلية ثم يقوم بوصفها فوراً وبشكل مباشر دون أي تأخير وقبل ممارسة أية أنشطة أخرى خارج موضوع التجربة. وكانت الاعتقادات السائدة في ذلك الوقت أنه ينبغي إخضاع محتويات العقل والعمليات العقلية للملاحظة الذاتية. ولذا فإن التفسيرات التي كانت تقدم للعمليات المعرفية ، هي ملاحظات تم التوصل اليها من خلال التقارير الاستبطانية.

أراد فونت دراسة العقل بشكل علمي. لقد هيمن منهج فونت في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر واطلق عليه المذهب البنائي structuralism. ووفقاً لهذا المذهب فأن خبرتنا الكلية تتحدد عن طريق دمج العناصر الاساسية للخبرة وهي الاحاسيس sensations كما يطلق عليها البنائيون. اراد فونت ان يوجد جدولاً دوريا للعقل مشابه للجدول الدوري للعناصر الكيميائية الذي ينظم العناصر على اساس الاوزان الجزيئية والخصائص الكيميائية. الجدول الدوري لفونت يتضمن جميع الاحاسيس الاساسية المتضمنة في الخبرة المتولدة. اعتقد فونت انه يستطيع التوصل الى ذلك بواسطة استعمال الاستبطان التحليلي، وهو تقنية يتدرب فيها المشاركون على وصف خبراتهم وعمليات التفكير في الاستجابة الى المثيرات. في احدى تجاربه طلب من المشاركين ان يصفوا خبرتهم في سماع نغمة تتكون من خمس علامات موسيقية تعزف على البيانو. كان فونت مهتماً فيما اذا كان المشارك يسمع العلامات الخمسة كونها نغمة واحدة منفردة اوعلامات منفردة.

لقد انشعل علماء النفس الامريكين الاوائل بما اطلقوا عليه اسم (الاستبطان) لان علم النفس الاستبطاني لفونت لم يكن مقبولا بدرجة كبيرة في امريكا, وان الاستبطان لدى الامريكيين لم يكن بمعنى التحليل الدقيق والمكثف لمحتويات الذهن كما فعل الالمان , فانشغل العديد من علماء النفس الامريكين في ذلك الوقت بموضوع التعليم كما ان الحاجة كانت موجهة الى علم نفس الطفل.

وفي اوربا قدمت المعامل (المختبرات) انماطاً مختلفة من تجارب الاستبطان بالوقت الذي كان يتم فيه تجاهل عملية الاستبطان خلال القرن التاسع عشر , وقد بدا واضحا من تجارب المعامل المختلفة ان هذه الطريقة لاتعطي رؤية واضحة بالنسبة للاعمال او العمليات التي تتم في الذهن ولم يكن الكثير من الاعمال المهمة في الوظائف العقلية واضحة نسبة للخبرة الشعورية.. وفي القرن العشرين ولعدم الصلة والتناقضات الواضحة في طريقة الاستبطان .,وبسبب هذين العاملين فقد تم بهما وضع الاساس العملي للثورة السلوكية في علم النفس الامريكي . تلك التي حدثت عام 1920 فقد بدأ جون واطسون وعلماء نفس سلوكيون اخرون هجوماُ على الاستبطان وعلى كل محاولة لتطوير نظرية عن العمليات العقلية واعتماد السلوكية في اهتمامها بصورة كاملة بالسلوك الظاهر وعدم محاولة تحليل الاعمال او العمليات الذهنية التي تقع وراء هذا السلوك.

لقد خلى البرنامج التجريبي السلوكي لمدة 40 عاما من أي بحث جاء في المجال المعرفي، وتم استبدال التعلم الانساني بالتعلم الحيواني، وصار التركيز منصباً على الكشف عن المبادئ التي تحكم التعلم الحيواني ومن ثم استخدامها في تفسير التعلم الانساني ،وقد تم أكتشاف الكثير من المبادئ، ولكن القليل مما تم اكتشافه يتناسب مع علم النفس المعرفي.

لقد كان علم النفس المعرفي يمثل موضوعاَ نشطاَ في البحث في المانيا وقد فقد الكثير منه عندما هاجر عدد من علماء النفس الالمان الى امريكا وجلبوا معهم نظرية الجشطلت

وكان عالم النفس الامريكي تولمان الذي شارك بكثير من الافكار عن علم النفس المعرفي الحديث ،يقوم ايضابتجاربه على تعليم الحيوانات وتحدث بلغة السلوكية ,واستطاع علماء النفس السلوكيين الامريكان ان يتناولوا مثل هذا الموقف والتمسك به على المدى الطويل لان الاستبطان اثبت انه لايعتمد عليه في الثبات ,ان ذلك لايعني انه من المستحيل تطوير نظرية للبناء العقلي الداخلي وعملياته, ومع ذلك فان بناء نظرية في البناء الداخلي تجعل من فهم الكائن البشري اكثر سهولة , وشهد علم النفس المعرفي خلال الجزء الاخير في القرن العشرين ان تحليل العمليات الفكرية المعقدة ضرورياَ وايضا الفروض الخاصة بالبناءات العقلية والعمليات الخاصة بها.